

فصلية التّقد و الأدب المقارن (بحوث في اللّغة العربيّة و آدابها)

كلّيّة الآداب و العلوم الإنسانيّة، جامعة رازي - كرمانشاه

السّنة الأولى، العدد ٤، شتاء ١٣٩٠ هـ. ش/١٤٣٣ هـ. ق/٢٠١٢ م، صص ٧٥-١٠٢

تحليل خطبة الغدير على منهج تحليل الخطاب الأدبي*

الدكتورة آفرين زارع

أستاذة مساعدة في قسم اللّغة العربيّة و آدابها - جامعة شيراز

طاهرة طوبائي

الماجستيرة في فرع اللّغة العربيّة و آدابها - جامعة شيراز

الملخص

كانت الخطابة منذ القدم، من أهمّ وسائل العلاقات بين أبناء المجتمعات حتّى أصبحت فناً من فنون البيان تحاول التأثير في المخاطبين و إقناعهم و حفزهم نحو ما يقصده الخطيب. فيحشد الخطيب كلّ مجهوده للنجاح في خطبته لبلوغه غايته المنشودة، فلا ينكر مدى أثر الجماليات الأدبية في نجاح الخطيب و إقناعه السّامعين و التأثير المتعمّق فيهم. و خطبة الغدير الملقاة بلسان من هو أفصح من نطق بالصّاد، و هي آخر خطبه و أكثرها طولاً، ترتجى فيها هذه الميزات الأدبية. و بما أنّ هذه الخطبة قد بقيت محمولة الذكر في الأدب العربي رغم أنّ لها مؤهلاتها لتدرجها في النثر الفنّي؛ هذه المقالة تحاول تحليل خطبة الغدير على منهج تحليل الخطاب الأدبي. و يتمّ هذا الأمر بعد عرض الخطبة موجزاً و تحليل الخطاب فيها. توصلت المقالة إلى أنّ النّبي (ص) في إستراتيجية خطابه يستعمل آليات إقناعية مختلفة للوصول إلى غايته، فيهتمّ بالألفاظ و الصوت و الأسلوب و المضمون، فظهرت خطبة الغدير في قمة النثر الفنّي بكلّ مؤهلاتها الأدبية و ميزاتها الفنّيّة. الكلمات الدليليّة: خطبة الغدير، تحليل الخطاب، الخطاب الأدبي، المرسل، المتلقّي.

تاريخ القبول: ١١/٢٥ / ١٣٩٠

* تاريخ الوصول: ٧/٢٠ / ١٣٩٠

العنوان الإلكتروني للكاتب المسؤول: A. Zare@rose.shirazu.ac.ir

١. مقدمة

الخطابة فنّ من فنون البيان، تعمل على إقناع المخاطبين و تحاول التأثير فيهم، والخطيب بما أنّه يهدف الإقناع يحاول ليختار كلمات تفصح عن معناها و عبارات تبلغ مراده حسب مقتضى حال المخاطب و مقام الخطاب؛ و إذا أضاف الصناعات الأدبيّة ضاعف جمالها.

تحاول هذه المقالة لتفصح عن إجابة هذه الأسئلة: ١. ما هي الميزات الأدبية لخطبة الغدير؟، ٢. كم استعمل النبي الصناعات و الجماليات الأدبية؟ ٣. كيف أثرت هذه الجماليات في إقناع المخاطب؟ لتبين أن هذه الخطبة تؤهّل لتدرج في عداد أحسن نماذج النثر الفنيّ. بما لها من ميزات أدبية تكاد لا توجد في نثر صدر الإسلام حتى في رسائل و خطب النبي إلا خطبته هذه.

و أمّا الضرورة الباعثة لدراسة هذه الخطبة فهو أنّ هناك عددا كبيرا من الدراسات قد اختصت بمعالجة آثار النبيّ من الحديث و الرسالة و الخطبة؛ لكن رغم كلّ هذه الدراسات الهائلة قد بقيت خطبة الغدير محمولة الذكر في الأدب العربي، حيث لم نجد ما درس هذه الخطبة رغم أنّها أطول خطب النبيّ و آخرها و فيها ما يبيّن طريق سعادة البشر و هدايته إلى يوم القيامة. فيبدو من الضّروري كشف الستار عن هذه الخطبة الهامة أدبيّاً و مضموناً؛ لتبيين ميزات الأدبية و الفنيّة الفريدة و التعرف على مواضعها الهامة.

وما تهدفه هذه المقالة هو تبين الميزات الأدبيّة لخطبة الغدير بصفتها أحسن نماذج النثر الفنيّ في صدر الإسلام و أثرها في المتلقي.

و أمّا من الدراسات السابقة في هذا المجال، فيمكن الإشارة إلى ما اعتنى بنثر النبيّ و هو كتاب كلام نبويّ در ادب عربيّ لسيد فضل الله ميرقادرى. فالكاتب قد جاء بتحليل بعض الخطب و الرسائل و الأحاديث للنبيّ لغة و معنى و مضموناً. لكن عند البحث عمّا عالج هذه الخطبة لا يوجد تحليل علمي أو أدبي لها إلا كتاب "سخنراني استثايي غدير" لـ "محمد باقر أنصاري" الذي قد عالج في الكتاب كلّ الظروف التي قد ساهمت في إنشاء خطبة مثل هذه و لم يتطرّق إلى تحليل الخطاب أو النص إلا قليلاً. لكنّ المقالة هذه تركّز على الخطاب و تحلّل وحداته تحليلاً أدبياً و هذا مفقود في الدراسات السابقة.

فالمقالة هذه باتّباع منهج النقد المتكامل، تعرض خطبة الغدير موجزا و تعرفها ثم تقدّم منهج تحليل الخطاب وأخيراً تلقي الضوء على ميزات أدبية لخطبة الغدير و مدى أثرها في المتلقي من خلال تحليل الخطبة على منهج تحليل الخطاب الأدبي في محاور أربعة وهي الألفاظ و الصوت و

الأسلوب و المضمون؛ ففي دراسة الألفاظ تقدّم معاني الألفاظ مع إشارات إلى بعض دلالاتها و أسباب استعمالها، ثمّ في دراسة صوتها يركّز على الصوائت و الصوامت من جهة الطول و القصر و الشدّة و اللبونة و على المقاطع من جهة ارتفاعها و انخفاضها، إضافة إلى النبرات الصوتية الدلالية و كلّ ما يسبّب روعة الموسيقى الداخلية من السجع و التكرار و غير هذا. و في دراسة أسلوبية يعالج أسلوب النص و مضمونه. فقد اختير هذا الطريق ليحلّل كلّ جوانب النص لسانيا و أسلوبيا كي يحسن تبيين الجماليات الأدبية للنص.

و حريّ بالقول أنّ خطبة الغدير خطبة مفصّلة لا تستوعب المقالة تحليل كلّها أدبيا، فتمّ اختيار القسم الأول من الخطبة؛ إذ هو مقدّمة الخطبة و التي بهذه المقدّمة التوحيدية يمهّد الأرضية لبيان صلب الموضوع و هو نصب الولاية لأمر المؤمنين الإمام علي(ع).

هذه الخطبة آخر خطبة ألقاها النبي في حياته الشريفة عند الرجوع من حجة الوداع، و هي أكثر خطب النبي طولاً، لأنّه يريد أن يكمل دينه و يوصي آخر وصاياه لأمتّه.

يمكن أن تلخّص الخطبة في عشرة محاور حسب الموضوع و هي:

١. الحمد و الثناء.
٢. أمر إلهي في موضوع هام (إبلاغ ولاية أمير المؤمنين).
٣. الإعلان الرسمي بإمامة الأئمة الإثني عشر: و ولايتهم.
٤. رفع رسول الله يدي أمير مؤمنان و بيان آية الإكمال.
٥. التأكيد على عناية الأئمة بمسألة الإمامة.
٦. الإشارة إلى نوايا المنافقين.
٧. ذكر أولياء أهل البيت و أعدائهم.
٨. الإمام المهدي عجلّ... تعالى فرجه الشريف.
٩. التمهيد لأمر البيعة و الحلال و الحرام و الواجبات و المحرّمات.
١٠. البيعة الرسمية.

هذه هي المواضيع العامّة المطروحة في الخطبة التي قد بينها النبي (ص) في أوضح صورة.

الخطاب مصطلح فرنسي* وجد طريقه في العلوم الإنسانيّة بصفته موضوعا علميا نقديا منذ القرن العشرين (شرسار، ٢٠٠٦: ١١) و أوّل من استعمله هو زليگ هريس في كتابه تحليل

الخطاب (بهرامپور، ١٣٧٩: ٢٢) و له تعاريف عديدة (راجع: الحميري، ٢٠٠٩: ٩/ شرشار، ٢٠٠٦: ١١/ ميرزائي، ١٣٨٤: ٣/ الشهري، ٢٠٠٤: ٣٦ و ٣٧) يستنتج من كل هذه التعاريف، أنّ الخطاب نظام لغوي مرتبط أجزاءه يحدث في الاجتماع و متأثر منه لينشئ العلاقة بين الباث و المتلقي، فيبث المتكلم استنتاجاته الفكرية بالوحدات اللغوية إلى المخاطب.

و له عناصر تشترك في بلورة عملية التواصل في الخطاب و هي المرسل، الطرف الأول للخطاب و عليه أن يختار من الأدوات اللغوية و الآليات الخطابية ما يناسب منزلته و موقعه الاجتماعي أو الوظيفي أو غيرهم، ثم المرسل إليه و هو الطرف الثاني للخطاب و إليه تنجّه لغة الخطاب و هو الذي يمارس تفكيك الخطاب و يؤوله لمعرفة مقاصد المرسل و أهداف الخطاب المرجوة و أخيراً العناصر المشتركة، مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، و المعرفة المشتركة و الظروف الاجتماعية العامة، بما تثيره من الافتراضات المسبقة و القيود التي تؤثر على عملية التواصل. فيطلق على هذا الأخير اسم السياق؛ فيمكن القول إنّ مجموعة الظروف التي تحفّ حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام تسمى في بعض الأحيان بالسياق* (الشهري، ٢٠٠٤: ٤٠).

فحسب الظروف التي يتكوّن فيه الخطاب و موضوع الخطاب، ظهرت أنواع مختلفة منه نحو الخطاب الديني و الخطاب الفلسفي و الاجتماعي و السياسي و الفني و النقدي و منها الخطاب الأدبي.

و أمّا الخطاب الأدبي، فهو نظام لغوي دلالي إشاري تشكّل مقوماته الأصوات و الألفاظ و القواعد و الدلالات المعنوية و الوظيفية (ميرزائي، ١٣٨٤: ٤). و عرفه حنفي بأنّه خطاب نقدي يحلّل الآثار الأدبية و الفنية، ليبين جمالياتها و أثرها في المتلقي و إثارة أحاسيسه و الإبداع و الخلق من جانب الأديب و الفنان، هو خطاب يربط بين ذات الأديب و الحقيقة التي يرسمها و يصورها (حنفي، ١٩٩٨: ٢٣).

ثمّ تحليل الخطاب هو نقد الخطاب و دراسة نقاطه السلبية و الإيجابية و القوة و الضعف (نفسه: ١٣١).

1. context
2. Analys Discourse

في تحليل الخطاب يجب أن يعتنى بـجبكة النص و نسيجه* و نسيج الظروف؛ فـجبكة النص تعني ما هو أثر الحملات قبله و بعده في التجلي التصويري و الوظيفي و المعنوي. ثم حبكة الظروف تعني ما هي الظروف التي قد تكوّن فيها النص من الثقافية و الاجتماعية و... (هرام بور، ١٣٧٩: ٢٤).

أضحى البحث في الخطاب الأدبي و صلته بالنقد يستحوذ على اهتمامات دراسي اللغة و الأدب منذ بداية القرن العشرين، فمن مناهج تحليل الخطاب يمكن الإشارة إلى المنهج الكلاسيكي و أيضا المناهج الحديثة التي تنظر إلى النص الأدبي لا كرجع انعكاسي لأدبية خارجه؛ ولكن كمجال يقدر وحده على ربط العلاقة مع المدلولات، و هناك اتجاهان رئيسان في الخطاب الأدبي، هما الاتجاه اللساني و الاتجاه الأسلوبي.

قد حاول النقاد العرب محاولات جديدة لتبيين مناهج تحليل الخطاب و بيان ما يجدر بالمعالجة و الدراسة و ميرزايي في مقالته «روش كفتمان كاوى شعر»، قد تجسّم جمع هذه المحاولات و أخيرا استنتج أن يعالج في تحليل الخطاب أربعة محاور هي: اللغة و الموسيقى و الصورة و التجربة الإنسانية (ميرزايي، ١٣٨٤: ٧) ثم يقترح أن يضاف التناص أيضا إلى هذه المحاور الأربعة لأثره في فهم النصّ (نفسه: ١٢).

و بما أن القصد من تحليل الخطاب هو الكشف عن معاني النصّ العميقة و استجلاء دلالاته الظاهرة و لاسيما الخفية، فلا بدّ من التمسك بكلّ ما يؤثر على فهم النصّ من تحليل الألفاظ و الموسيقى و التصوير و التجربة الإنسانية و التناص.

ففي هذا الطريق يمكن أن يضاف إلى ما ذكر، بيان مواضع التماسك و الانسجام في النصّ؛ لأنّه يوضح ترابط أجزاء النصّ و اتساقها، و الخطاب كما سبقت الإشارة إليه هو نظام مرتبط أجزاءه.

ما يلاحظ هو أنّ الاتجاهات الحديثة لخطاب النقد الأدبي أصبحت تستخدم المنهج التكاملي الذي يستعير مجموعة من النظريات المتباينة من العلوم المختلفة؛ ولكنّ السمة البارزة لتلك الاتجاهات تبدو لسانية و أسلوبية أكثر من غيرهما و بما أنّ كلّ هذه المناهج يلقي الضوء على جهة محدّدة من النصّ، قد تمّ في تحليل خطبة الغدير، محاولة استخدام المنهج المتكامل للتعصّب الأكثر في

1. Context .
2. Context situation

الخطبة و استجلاء زواياها الكامنة من كل الجهات؛ فاستعمل كل المناهج المذكورة من البحث اللساني والأسلوبي ومعالجة المحاور الأربعة، إضافة إلى العناصر السياقية التي تكوّنت فيها الخطبة. فلتحليل خطاب خطبة الغدير في البداية قد عولج نسيج الظروف، فدرست الظروف التي تكوّنت فيها الخطبة من الإجتماعية والطبيعية والتفاسية، مما يؤثر على النص في خارجه. ولتحليل النص قد تمّ تحديد الوحدات، وقد ذكر في كل قسم منها، بعض الألفاظ ومعانيها؛ ورغم العلم بأنّ البحث اللغوي واللساني له مجال أوسع ممّا ذكر، لكنّه لضيق المجال قد اكتفي بذكر معاني الألفاظ وبعض الشروح لتبيين معنى اللفظ في النص. ثمّ قدّمت دراسة صوتية عولجت بها الموسيقى. والمحاور المطروحة في دراسة الموسيقى هي صفات الحروف ودلالاتها، ظاهرة التكرار والسجع والجناس، أشكال المقاطع، والتبرّات الدلالية التي تحدّد حسب سياق النص (البهنساوي، ٢٠٠٥: ١٩٥). وأخيراً قد عرضت مباحث في معالجة شكلية للنص مزيجاً بتحليل مضمون النص؛ إذ المعنى والمضمون هما عاملان أساسيان في اختيار الأساليب؛ والغرض الأول في هذه الخطبة هو انتقال المضامين والمعاني ولا إظهار الحذاقة في استعمال أساليب مختلفة. ورغم أنّ منهج تحليل الخطاب يمتاز بالنظر كلياً إلى النص، وكلّ دراسة أنجزت في تحليل خطاب نصّ ما، قد اندمجت فيها كلّ المحاور المطروحة في السابق معاً، في هذه المقالة قد تمّ دراسة كلّ هذه المحاور مستقلة لتكون أكثر نسقاً وترتيباً وأكثر فائدة ممّا يلزم للمقالة، فيقدّم تحليل خطاب القسم الأول من خطبة الغدير في القسم التالي حسب ما ذكر.

كما مرّ، في تحليل خطاب النصوص، يجب أن ينظر إلى نسيجين: نسيج الظروف ونسيج النصّ. فقبل تحليل نصّ الخطبة، تقدّم نبذة موجزة عن الظروف التي قد تكوّنت فيها خطبة الغدير من الطبيعية والاجتماعية والتفاسية.

ألقيت خطبة الغدير بعد أداء مناسك الحجّ، حيث أمر النبي (ص) بالوقوف عند الغدير، و غدير الخم واقع في صحراء الجحفة، فهي قرية كبيرة ومسيل يجتحفها السيل (الحموي، ١٩٧٩، ج١: ١١). والغدير موضع على بعد مائتي كيلومتر من مكة وثلاثمائة كيلومتر من المدينة، مفترق الطرّق إلى الشّرق والغرب والشّمال على ميل دون الجحفة. فهو واد تحاصره التلال والجبال الصّغيرة، تصبّ فيه عين لا يفارقها ماء المطر وينبت فيها المرخ والثمام والأراك والعُشْر. (نفسه، ج٢: ٣٨٩). فالمكان مناسب لاجتماع عظيم؛ إذ الوادي وسيع ومحصور بالتلال كأنّه قاعة يستوعب مئة وعشرين ألفاً من الحجّاج، وتوفّر المياه والأشجار، سهل الوقوف ثلاثة أيام.

والنبي (ص) «أمر بشجرتين و كشح تحت الشجرتين لبناء المنبر» (البلاذري، ١٩٧٤: ١١). فبني المنبر حيث يطل على الجميع و كلّ الحضور قد رأوا النبي (ص) و سمعوا صوته (المجلسي، د. ت، ج ١: ٣٤). فصعد النبي (ص) المنبر فوراً بعد الصلاة جماعة و ألقى خطبته. فواضح أنّه إضافة إلى جودة اختيار المكان، قد استحسن اختيار الزّمان. بعد مناسك الحجّ و رفع القلق لأدائها، و فوراً بعد الصلاة لأنّ هذه الجماعة لم تكن تجتمع إلا للصلاة فاغتنم النبي (ص) هذه الفرصة لإلقاء خطبته الخالدة.

و أمّا اجتماع المسلمين في حجّة الوداع و عند إلقاء الخطبة، فمزيج من الذين أسلموا حقاً و إخلاصاً و الذين أسلموا بغية الحصول على الغنائم و الأموال أو بغية التقرب من النبي (ص) والحصول على مناصب اجتماعية أو أسلموا خوفاً من الموت و حفظاً لأنفسهم و أموالهم و أو أسلموا تبعاً لرؤساء قبائلهم. فحضور المنافقين في مجتمع المسلمين واضح و طبيعي و شهدت الآيات القرآنية النازلة في المنافقين في آخر سنوات حياة النبي (ص) على هذا و كان خطرهم عظيماً، حيث حذّر الله النبي منهم غير مرّة و نبأهم بمقاصدهم (الأنصاري، ١٣٨٨: ٢٤-٢١) و الجدير بالإشارة هو أنّ جماعة من المشركين قد راحو من مكّة إلى الغدير ليطلعوا على ما سيحدث (مجلسي، د. ت، ج ٢١: ٣٨٥ و ٣٩٣ و ٣٩٦ و ج ٣٧: ١١١ و ١٥٨). فالنبي (ص) في هذه الجماعة يؤمر بأن يخطب و يبلغ ما أنزل إليه.

و المسلمون، قد تركوا ديارهم ليصاحبوا نبيهم في هذا الحجّ، ليتعلّموا مناسك الحجّ و يسألوا النبي (ص) عن سائر مسائلهم؛ لكن آخر يوم من أيام الحجّ عند الوقوف في منى، قد أخبرهم النبي (ص) بأنّه يمضي آخر أيام حياته بينهم و هذا الإخبار كان بعد نزول سورة النصر (نفسه، ج ٩: ١٥٠). إضافة إلى أنّه في خطبه في العرفات و منى و مسجد الخيف (نفسه، ج ٢: ١٤١) دائماً كان يتحدّث عن الولاية والخلافة بعده، و عمّا سيحدث بعده، و يذكرّ الناس أن لا يجاربوا الحقّ و لا ينقلبوا على أعقابهم (الخراساني، ١٣٧٤، ج ١: ١٥٩ / صفوت، د. ت، ج ١: ٥٩). هذه الكلمات و الأعمال كلّها قد دلّت المسلمين على أنّهم سيحرمون نعمة حضور النبي (ص) بينهم، فتأثّروا بهذه الأخبار في نهاية مناسكهم. و أسئلة كثيرة قد هاجمت الأذهان و الأفكار حتّى أمر النبي (ص) بالذهاب نحو الغدير. فمشوا مسرعين إلى اليه ليجدوا إجابات عن أسئلتهم و يروا ماذا يؤدّي النبي (ص) في آخر أيام حياته. فحضرُوا الغدير حزنين قلقين متحيرين منتظرين لكلامه (ص).

٢. عرض الموضوع

٢-١. الفقرة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا فِي تَوْحُّدِهِ، وَدَنَا فِي تَفَرُّدِهِ، وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ، وَعَظُمَ فِي أَرْكَانِهِ، وَ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَ هُوَ فِي مَكَانِهِ، وَ قَهَرَ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَ بُرْهَانِهِ. حَمِيدًا لَمْ يَزَلْ، مَحْمُودًا لَا يَزَالُ، وَ مَجِيدًا لَا يَزُولُ، وَ مُبْدِنًا وَ مُعِيدًا وَ كُلُّ أَمْرٍ إِلَيْهِ يُعُودُ^١.

٢-١-١. الألفاظ

- علا: علا فلان : ترفع و قال الأزهري العلي هو الذي ليس فوقه شيء و يقال هو الذي علا الخلق و قهرهم بقدرته (ابن منظور، ١٣٠٠: ماده علو).

- توحّد: انفرد الناس لا يجالس الناس و لا يخالطهم (نفسه: ماده و حد).

- تفرّد: انفرد به (نفسه: ماده فرد).

و يجدر بالذكر أن الفرد يفيد الانفراد من القرن و الحدة تفيد الانفراد في الذات. و يقال تفرّد بالفضل و النبل؛ ولكن توحّد بمعنى تخلى (العسكري، د. ت: ١٤٠: ١٤١).

٢-١-٢. دراسة صوتية

في الفقرة الأولى من النص يوجد إيقاع كنظام موسيقي في الجمل و الموسيقى الموجودة. فالجمل الخمسة الأولى منتهية بالهاء المكسورة و فيها وإن كان قليلا، شيء من الامتداد و إن تلتفظ مع إشباع الكسرة فيه المد؛ كأنها تجذب السامع و تجعله منتظرا لاستماع الجملة التالية. لكن جملة «أحاط بكل شيء علما و هو في مكانه» تنتهي بمصوت الألف لأن المعنى يوحي الإحاطة، و رنين الجملة يدل على هذا المعنى؛ لكن أضيفت إلى الجملة جملة حالية أخرى على نسق الجمل السابقة و اللاحقة كي لا يتخلل الإيقاع الموجود في كلية النص.

ثمّ الجمل الثلاثة التالية منتهية باللام، الأولى ساكنة و الباقي مضمومة؛ و عند الوقف كلّها ساكنة، كأنها تريد أن تنقل معنى السكون و عدم التحرك، و معنى الجملة في عمقها يؤيد هذا؛ إذ الله تبارك و تعالى هو الذي لم يزل و لا يزال حميدا و محمودا و مجيدا و هذه الصفات ما زالت فيه و لا تبدل و لا تتغير و لا تزول. و إذا كانت مضمومة ففيه نوع من المواصلة و الاستمرار بسبب المد القصير الموجود في الأصوات و معاني الأفعال مؤيدة لهذا المعنى. فمجد... سبحانه و تعالى و كونه حميدا و محمودا متواصلة من الأزل إلى الأبد. و الجميل هو أنه ذكر ثلاث صفات

الله تبارك و تعالى مع ثلاثة أفعال «لم يزل، لا يزال، لا يزول» كلّها بمعنى واحد لكن بألغاف مختلفة مع حفظ التّظام الصّوتي للتّص.

و في النهاية، الجملة الأخيرة فيها حركة و عودة كلّ أمر إلى ... سبحانه؛ فرصف الفتحة و الكسرة و الضّمة متكرراً في الجملة يثبت معنى الحركة و هي الإبداع و العودة أي إنّ الله سبحانه و تعالى دائماً يبدئ و يعيد و هو المرجع لكلّ أمر.

و المقاطع بسبب كثرة الصّوائت، مطولة و في الغالب مفتوحة و هذا ما يجرّص المخاطب على أن يصغي لمواصلة الخطبة باشتياق.

و يبدو أنّ الكلمات المنبورة هي التي تبدأ بها الجملة، إضافة إلى «كلّ شيء» و «جميع» و «إليه» حسب ما يظهر من سياق التّص.

ثمّ سبق في الفقرة الأولى، يستنتج أنّ معنى الجملة هو أنّ كلّ الشّكر و الثّناء لله الذي قد ترفعّ و تعظّم في تفرّده و وحدانيته.

٢-١-٢. دراسة أسلوبية

الجملة الاسمية تؤكد المعنى و تدلّ على الثبوت و المبتدأ معرفة بأل الجنس كي يخصّ كلّ الثّناء و الحمد لله تبارك و تعالى ثمّ يصفه سبحانه بواسطة موصول "الذي" كأنه يريد أن يبيّن سبب هذا النوع من التّحميد فيصفه في التّوحد. فإذا التّوحد بمعنى التّفرد و الانفراد، والعلو بمعنى التّرفعّ و التعظّم، فكلّ هذا يؤكّد و يوحى التّوحد لله عزّ و جلّ و الذي لا مثيل له و لا نظير فهو منفرد متوحد و قد تعظّم في شأنه هذا.

ثمّ عندما يتحدّث عن إحاطته سبحانه و تعالى، يأتي بجملة حالية و يبيّن أنّ إحاطته لا يحتاج إلى حضوره في كلّ مكان، كي يؤدّي إلى القول بالجسمانية لله تعالى. فهذه الجملة الحالية تؤكّد أنّه جلّ و علا رغم كونه في مكانه محيط علمه بكلّ شيء.

وتمّا يلفت النظر في هذه الفقرة هو أنّ الأفعال المستعملة في الوصف كلّها دالة على نوع من الاستعلاء: «علا، جلّ، عظم، أحاط، قهر» و هذا تناسب بين الفعل و المعمول، فالجلالة للسّطان و العظمة للأركان و الإحاطة للعلوم و القهر للقدرة و البرهان. إضافة إلى أنّ هذه الأفعال كلّها ماضية لتدلّ على الثبوت و الدّوام. ثمّ يواصل الوصف لكن يتغير أسلوب الحمل فيقدّم المعمول لتأكيد المعنى في ذهن المخاطب و يستعمل الأفعال الدّالة على الاستمرار و التّواصل: «لم يزل، لا يزال ولا يزول». و في الجملة الأخيرة لا يوجد وصف و قد عطفت هذه الجملة على فعل الجملة

السَّابِقَةُ لتكون ما يبقى في الذَّهْنِ هو وصف المبدئ والمعيد؛ إضافة إلى أنَّ التقابل الجمالي في المبدئ والمعيد وما يسبب التماسك له أثره البالغ في ترسيخ المعنى عند المتلقِّي: فالمبدئ هو الذي ينشئ لا عن مثال سابق، والمعيد هو الذي يعيد خلقه. فهذا التضاد يساعد المخاطب على أن يدرك معنى النص و يرسِّخه في نفسه.

٢-٢. الفقرة الثانية

بَارِي الْمَسْمُوكَاتِ، وَدَاحِي الْمَدْحُوتَاتِ، وَجِبَارِ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ. قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ. رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ. مُتَّفَضِّلٌ عَلَى جَمِيعٍ مِّنْ بَرَاءَةٍ، مُتَطَوِّلٌ عَلَى جَمِيعٍ مِّنْ أَنْشَاءٍ، يَلْحَظُ كُلَّ عَيْنٍ وَالْعُيُونَ لِاتِّرَاهُ.

٢-١-٣. الألفاظ:

- باري: الذي خلق الخلق لا عن مثال (ابن منظور، ١٣٠٠: ذيل مادة برأ).
- المسموكات: سمك السماء: رفعه فارتفع، و السَّماءُ المسموكة: السَّماءُ المرفوعة و المسموكات و المدحوات: السَّمَوَاتِ السَّبْعِ و الأرضون (المصدر نفسه، مادة سمك).
- المدحوات: الدحو: البسط، داحي المدحوات: باسط الأرضين و موسَّعها (نفسه: ذيل مادة دحو).
- متفضِّل: التفضل: التخصيص بالنفع الذي يوليه القادر عليه (العسكري، د. ت: ١٩٤).
- برأ: تمييز الصورة (السابق) و الخلق لا عن مثال سابق (نفسه، ج ١: ٣١).
- متطوِّل: الطوِّل: الفضل و القدرة و السَّعة و العلو. يقال تطوِّل عليه إذا امتنَّ عليه و التطوِّل عند العرب محمود يوضع موضع المحاسن (ابن منظور، مادة طول).
- أنشأ: أنشأه الله: خلقه و أنشأ الله الخلق: ابتداء خلقهم (نفسه: مادة نشأ).
- و الفرق بين التفضل و التطول هو أن الطول، ما يستطيل على من يقصده و يقال تطوِّل إذا سأله ذلك؛ و أمَّا الفضل لا يكون واجباً و إنما فضل يتفضَّل به من غير سبب يوجبه. ثم البرء و الإنشاء: إنَّ الإنشاء هو الإحداث حالاً بعد الحال من غير احتذاء الأمثال، و البرء هو تمييز الصورة دون مثال سابق (العسكري، د. ت: ١٣٤ و ١٣٨ و ١٩٤). فضل .. . سبحانه جار على خلقه بسؤالهم الفضل أو من غير سبب يوجب هذا الفضل ويشمل الكلِّ ممَّا خلق حالاً بعد الحال و ما خلقه و ميِّز صورته. فالكلُّ يتمتَّعون بفضله .. . و طوله.

٢-٢-٢. دراسة صوتية

الموسيقى الداخلية في الفقرة الثانية كأن فيها شيئاً من الثقل، و الشدة الموجودة في كل قطعة و عبارة تساعد طنين الإيقاع الموجود في النص على أن يوحى إلى السامع كل ما هو من العظمة في الكلام. ففي العبارات الأولى قد عبّر النبي (ص) عن خلق الكون بمقاطع شديدة، بما فيها الشدة: داحي المدحوات، جبار الأرضين و السموات، سبوح قدوس ربّ الملائكة و الروح، متفضّل...، متطول...، و كما يظهر، النبرات أيضاً في هذه المقاطع شديدة؛ و الجميل هو كلمة «أنشأ» في الجملة الأخيرة؛ إذ فيها ليونة بسبب حروفها المستعملة فيخرج النبي (ص) بما من تلك الشدة و الحلال ليدخل في الجملة الأخيرة بكلمات لطيفة لأنه يتكلم عن العين و النظر و أنه تعالى يلحظ كل عين مما لا مناسبة بين هذا المعنى و الموسيقى الثقيلة فاخترت الكلمات المناسبة مع الوزن و الإيقاع الملائم للمعنى.

إضافة إلى التوازن الموجود في النص الذي يتغيّر بتغير المعنى ليلائمه، هناك توازن في «المسموعات و المدحوات و السموات» ثم في «سبوح» و «قدوس» وحدة الوزن ملفت للنظر، ثم «متفضّل»، «متطول» و «برأه» و «أنشأ».

٢-٢-٣. دراسة أسلوبية

في الفقرة الثانية، اسمية الجمل دالة على التأكيد و توحى الثبوت. فالله سبحانه و تعالى هو الذي خلق السموات و الأرض و ابتداء خلقها و هو القاهر في ملكه و إله كل شيء من السماء و الأرض و الملك و الروح و هو المتزه؛ رغم كل هذا الملك و الحلال و التزه، فضله و تطوله جار على كل ما خلق.

تعريف المسند يدل على التأكيد و الحصر، و تنكيه دالة على التعظيم و التبجيل و التفخيم (المهاشمي، ١٣٨٥: ١٢٦): «قدوس سبوح»، أو يدل على الشمول و العمومية: «متفضّل على جميع برأه، متطول على جميع من أنشأ» و تركيب التعريف و التنكير و التأرجح بينهما مما يؤتي النص صورة جمالية.

و يبدو أن معنى التفضّل و التطول لا يختلف كثيراً و هكذا برأه و أنشأه. فبيان الصفتين في تعبيرين مختلفين نوع من التكرار لتأكيد المعنى في نفس المخاطب، إضافة إلى دور هذا التكرار المعنوي في تماسك النص مع الانتباه إلى الفروق الدقيقة بين كل زوج منها.

و مما جدير بالذّكر هو تكرار «على جميع من» لترسيخ المعنى في ذهن المتلقّي كي لا يشكّ أبداً أنّ فضل... عزّ وجلّ وإنعامه جاربان على جميع مخلوقاته.
ثمّ بما لا يغمض دوره في تماسك الفقرة، هو الفصل و الوصل حيث يوجد الوصل بواو العطف في العبارات الثلاثة الأولى، ثمّ الفصل حتّى نهاية الفقرة لتغيير الأسلوب و عدم استعمال واو العطف في هذه التعابير بين كمال الاتصال في هذه الجملة بما يؤدّي إلى ذروة التماسك و التلاؤم في النصّ.

٢-٣. الفقرة الثالثة

كَرِيمٌ حَلِيمٌ، ذُو أَنَاةٍ، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ وَ مَنْ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ؛ لَا يَعْجَلُ بِإِنْتِقَامِهِ، وَلَا يُبَادِرُ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ عَذَابِهِ.

٢-٣-١. الألفاظ

- حلِيم: من الحلم، الأناة و الثبّت في الأمور و ذلك في صفات الله عزّ و جلّ معناه الصّبر، و قيل معناه الذي لا يستخفّه عصيان العصاة و لا يستفزّه الغضب عليهم و لكن جعل لكل شيء قدرأ فهو منته إليه (ابن منظور، ١٣٠٠: مادة حلم).

- منّ: منّ عليه: أحسن و أنعم و في أسماء الله تعالى، المنان الذي ينعم غير فاجر بالإنعام و معناه: المعطي ابتداءً و له المنة على عباده و لا منة لأحد منهم عليه. و قال ابن الأثير: هو النعم المعطي، بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه و لا يطلب الجزاء عليه (نفسه: مادة من).

٢-٣-٢. دراسة صوتية

الفقرة الثالثة خلافاً للأولى و الثانية تبدأ بحفّة و ليونة، فالحروف المستعملة أكثرها حروف الرّخوة و المهموسة التي أداؤها بحاجة إلى الوقت (البريسم، ٢٠٠٠: ٤٩) حيث جرت النّعمة الخفية في الكلام و ظهر نوع من التّأني للتعبير عن المقصود بما يناسب المعنى. فالراء و اللام و الميم و النون و التاء كلّها بصفاتها الرّخوة و الهمس تؤكّد المعنى الموجود في عمق الكلمات البدائية، و هو التّأني و التأمّل، إضافة إلى قصر المقاطع بسبب الصوائت القصيرة المستعملة فيها. ثمّ تتمّ عمليّة توسيع الرّحمة و الامتنان بالنّعم في جوّ هادئ متواصل من الأنعام و الأصوات كأنه يوحي إلى السّامع أنّ هذه العمليّة، عمليّة دائمة متواصلة. و الهاء المكسورة في نهاية العبارات يبرز هذه المواصلة. ثمّ اللفظ يساعد تثبيت هذا المعنى في الجملتين الأخيرتين: «لا يعجل إليهم... و لا يبادر...».

٢-٣-٣. دراسة أسلوية

و أما الفقرة الثالثة فتذكر أن... الذي هو جبار الأرضين و السموات و يفضّل و يتطوّل على جميع من برأه و أنشأه، كريم حليم، و الجميل هو أنه بعد ذكر الحليم يؤكّد هذه الصفة لله تعالى بصفة أخرى تبيّن قدر الحلم و هي «ذو أناة»، لأنّ الأناة هي البطء في الحركة و الإمهال، و الحلم هو الإمهال في تأخير عقاب المستحقّ و معاملته الجزاء على السيئة (العسكري، د. ت: ٢٠٣-٢٠٠)؛ فالأناة أعمّ من الحلم. ثمّ يقول رحمته و نعمته حفّت مخلوقاته و من نعمه و منّه عليهم، أنه لا يسرع في عقابهم الذي استحقّوه بما فعلوا، فتتكبر المسند يدلّ على الشمول و العموميّة أيّ إته تعالى ينعم على الجميع. و لفظ «قد» يشير إلى أنه تعالى منذ زمن بعيد قبل هذا «وسعت رحمته و منّ عليهم...» لكنّه يستمرّ في عفوّه و تأجيل عقوبته لأنّه تعالى حليم ذو أناة. ثمّ ما يسترعي الانتباه في هذه الفقرة، هو قضية الفصل و الوصل، فيوجد الفصل بين الجمل الأربعة الأولى لكامل الاتصال بينها، ثمّ الحملة الخامسة قد عطفّت على الرابعة لاشتراكهما في الحكم و تقارب المعنى، ثمّ الجملتان الأخيرتان بينهما الوصل، قد فصلتا عن هذه الجمل لكامل الانقطاع. فهكذا ووا العطف يبرز دوره في تماسك الجملة تماسكاً نحويّاً.

٢-٤. الفقرة الرابعة

قَدْ فَهَمَ السَّرَائِرَ وَ عَلِمَ الضَّمَائِرَ، وَ لَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ الْمَكْنُونَاتُ، وَ لَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْخَفِيَّاتُ. لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَ الْعَلْبَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَ الْقُوَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَ الْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَ لَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ، وَ هُوَ مُنْشِئُ الشَّيْءِ حِينَ لَا شَيْءَ. دَائِمٌ حَيٌّ، وَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

٢-٤-١. الألفاظ

- السَّرَائِرُ: السّر من الأسرار التي تكتم و السّر ما أخفيت و السّريّة كالسّر و الجمع سرائر(ابن منظور، ١٣٠٠: مادة سر).
- الضَّمَائِرُ: الضمير: السّر و داخل الخاطر و الجمع الضمائر و اللّيث يقول: الشيء تضمّره في القلب (نفسه، مادة ضم).
- الحكيم: أحكم الأمر: أتقنه. الحكيم: المتقن للأمور (نفسه: مادة حكم).

٢-٤-٢. دراسة صوتية

أول ما يلفت انتباه السامع في الفقرة الرابعة، السجع الموجود في «السراير» و «الضمائر» ثم «المكنونات» و «الحقييات» و الجميل أن هذه الكلمات المسجعة، مترادفة أيضاً و يوحى معنى قريباً بعضها من البعض، ثم التهمة الواحدة في «الإحاطة» و «الغلبة» و «القوة» و «القدرة» التي لها أثرها في موسيقى النص. ثم تكرار «شيء» في سبع جمل من هذه الفقرة يثير انتباه السامع و يحفزهُ نحو التفكير في ما سمع، إضافة إلى أنه أداة لتفهم المعنى عند المتلقي. ففي الجمل الأربعة الأولى لا يشكّ المخاطب أنه تعالى هو العليم و المحيط بكلّ شيء، و في الأربعة التالية يفهم أنه هو القاهر و الغالب على كلّ شيء و يدرك من باقي الجمل أنه عزّ و جلّ هو الواحد الذي خلق ابتداءً عن العدم حين لم يخلق شيء، و الجدير بالذكر هو وجود صفات أخرى تؤدّي إلى هذا المعنى لكنّه استعمل منشئاً لتناسب صوت النص و هو كثرة حضور مصوت الشين في الفقرة.

و أخيراً الرنين الموجود في الجملتين النهائيتين يجدر بالانتباه، حيث نرى الخطيب (ص) في غاية البيان، يأتي بأوصاف متتالية في جمل متتالية فجملة "دائم حي" كأنه نبرة خطابية يحدّد تلك الحدة و يهَيئ الأرضية للتنقل إلى موضوع آخر في وصف الله سبحانه، فتكرار «شيء» مع التّفشي الموجود في الشّين يوجب ضوضاء في ما يسمعه المخاطب ثم يحكم هدوءاً في صوت الجملة التالية: «دائم حي و قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» إضافة إلى السّجع في «دائم» و «قائم»، جهورة الأصوات يضفي جمالية النص.

فاستعمال الفتحة الطويلة، و العين و الحاء و القاف و الطاء المجهورة التي فيها الإيضاح و العلو (بريسم، ٢٠٠٠: ٥١) متلائم جداً و فضاء الخطبة؛ فالخطيب بأعلى صوته يريد أن يوضّح و يبيّن أنه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فاستعمل الحروف المجهورة لتوصّله إلى هدفه؛ إضافة إلى أن استمرار الجهر هو استمرار للوظيفة الداخليّة للتقاطع فكأنه الجسر الذي يربط طول المقاطع مع قمة التّهمة (نفسه: ٥٠).

٢-٤-٣. دراسة أسلوبية

تبدأ الفقرة الرابعة ببيان أنه تعالى يعلم ما تخفي الصدور و مضمرات القلوب و الجملة التالية التي يعطف بها العطف في موضع كمال الاتّصال، تؤكّد و تبين هذا المعنى: لا يخفي على الله شيء حتّى ما هو المكنون في الصدور أو الأوهام و الأفكار ثمّ الحقييات لا تسبّب أن يشتهه عليه أمر و يختلط و يلتبس و تشكل عليه الأمور. فالجمل الأربعة الأولى من هذه الفقرة، كأنّ كلّها

تكرّر معنى واحداً و هو علم الله تعالى بالسرائر و الضمائر و المكنونات و الخفيات؛ و هذا التكرار المعنوي يؤدّي إلى التماسك اللغوي حيث يظهر أنّ الخطيب (ص) قد استعمل أربعة تعابير لمعنى واحد أو قريب.

و أمّا التعابير التالية، فالغلبة لا يتسنى إلا بفضل العلم و القدرة دون القهر لا يكون إلا بفضل القدرة. و الغلبة من فعل الغالب و القدرة من فعل القادر، ثمّ القدرة على شيء تدلّ على القدرة على تصريف الشيء (نفسه، ١٠٥). فواضح أنّ رصف هذه المفردات لم يكن مجرد بيان ألفاظ فحسب، بل الغرض من كلّ هذه الألفاظ هو الداعي إلى اختيارها.

ثمّ بتقديم المسند و تعريف المسند إليه ينحصر الإحاطة و الغلبة و القوّة و القدرة على كلّ شيء لـ... . تعالى. و مرّة أخرى بواو العطف يبيّن المعاني السابقة في مجال أوسع و هو أنّه تعالى لا نظير له فليس مثله شيء، و كأنّ الجملة التالية بيان السبب لهذه الجملة إذ تقول فيما أنّه تعالى خالق الأشياء فليس مثله شيء. و ما يجدر بالذكر هنا هو أنّه خلق الأشياء لا عن مثال و لا عن مخلوق سابق و الظرف مع متعلّقه «حين لا شيء» يؤكّد المعنى الموجود في لفظة «أنشأ» و هو الخلق من العدم حين لم يكن شيء.

فالأشياء بما لها فترة من العدم و الزوال ليست دائمة بل الله هو الدائم الحيّ و القائم بالقسط. ثمّ ينفي وجود أيّ إله غير الله العزيز الحكيم الذي عزّ و أتقن الأمور. فواضح أنّ نهاية الفقرة يناسب المواضيع المطروحة في الفقرة مناسبة تامّة و سياقها يهدي إلى بيان هاتين الصفتين لله تعالى في نهاية الفقرة.

و إذا نظرنا إلى النصّ لتتقيد التماسك فيه، رأينا نوعاً من التماسك الصوتي في الفقرة كما سبقت الإشارة إليه في الدراسة الصوتية. و التماسك اللغوي التام بسبب المترادفات مثل «السرائر و الضمائر» و «المكنونات و الخفيات» و «الإحاطة و الغلبة» و «القوّة و القدرة» ثمّ واو العطف و مواضع الفصل و الوصل. فتلاّت حبل في هذه الفقرة منفصلة عمّا قبلها لتباينها عنها أسلوباً و معنى. فالفصل هنا في موضع كمال الانقطاع.

٢-٥. الفقرة الخامسة

جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. لَا يَلْحَقُ أَحَدٌ وَصْفَهُ مِنْ مُعَايِنَةٍ وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِرٍّ وَ عَلَانِيَةٍ، إِلَّا بِمَا دَلَّ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ.

٢-٥-١. الألفاظ:

- تدركه: الدَّرَك: اللحاق، أدركته ببصري: رأيته (ابن منظور، مادة درك). و أصل الإدراك بلوغ الشيء و تمامه و الإدراك طريق من طرق العلم (العسكري، د. ت: ٩٠).
- اللَّطِيف: اللَّطْف: الرَّفْق و البرِّ و التَّكْرَمَة و التَّحْفِي (نفسه، ج ٩: ٣١٦) قد يعبر باللطائف عمّا لا تدركه الحاسّة و يصحّ أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه و أن يكون بمعرفته لدقائق الأمور. . . (الراغب، د. ت: مادة لطف).
- يلحق: لحقته و لحقت به: أدركته (الراغب، د. ت: مادة لحق).
- معاينة: العين و المعاينة: التَّنْظَر و قد عاينه معاينة و رآه عياناً: لم يشكّ في رؤيته إياه (ابن منظور، ١٣٠٠: مادة عين).

بناءً على ما ذكر في معاني اللمفردات يبدو أنّ الجمل في هذه الفقرة مؤكّدة بعضها البعض؛ فالله سبحانه تعالى «جلّ عن أن تدركه الأبصار». بمعنى لا يلحقه الأبصار ثمّ «لا يلحق أحد وصفه من معاينة» اللّحق. بمعنى الدَّرَك فالمعنى واحد في تعبيرين.

- دلّ: يقال دلّ فلان إذا هدى و قال ابن الإعرابي: دلّ يدلّ إذا هدى و دلّ يدلّ إذا منّ بعبّاته (نفسه: مادة دلل).

٢-٥-٢. دراسة صوتية

تبدأ الفقرة الخامسة بفونيم الجيم و هي من الفونيمات المركّبة و المجهورة أي إضافة إلى أنّ صوته جهوري و عامل الوضوح و علوّ الدّرجة من ناحية الطبيعة السّمعية، إنتاجه متشكّل من مرحلتي توقف الهواء خلف عضوي التّطوق ثمّ إطلاقه ببطء (البريسم، ٢٠٠٥: ١٦١) فكلّ هذا يوجب نوعاً من العظمة في صوت الحرف الّذي يناسب معنى كلمة «جلّ» و إذا أضفنا الشّدّة و تكرار اللّام، يبرز التّلاثم الصّوتي في الكلمة و حسن انتقاء الخطيب (ص) مفرداته أكثر فأكثر.

ثمّ يواجه السّامع حرفي «عن» و «أن». فما يسمعه المخاطب قريب جداً. و أمّا الفرق بين العين و الهمزة، فكلا الحرفين من الحروف الحلقويّة إلّا أنّ مخرجهما في الحلق يختلف ثمّ العين من الحروف المجهورة و الهمزة من المهموسة (المصدر نفسه) فالفرق ظريف جداً فيضطرّ المخاطب إلى الانتباه ليدرك ما يلقي إليه. فيسمع تكرار حرف الرّاء سبع مرّات و هي من الحروف المكررة المجهورة (المصدر نفسه). و الجميل هو أنّ هذا الحرف قد تكرّر في كلمات متكرّرة إلا «الخبير»

فليست متكررة: «تدركه، يدرك، الأبصار» ثمّ تكرر الضّمير «هو» تارة مع الواو الحالية و تارة مع واو العطف و أيضاً تكرر «أحد»، يوجب تثبيت المعنى في نفس المتلقّي.
 ثمّ التّوازن في الجملتين التّاليتين و الرّنين الموجود في التّص، لهما أثرهما البارز في السّامع؛ فمقاطع كلا الفعلين مساوٍ في «لا يلحق» و «لا يجد» و لفظة «أحد» مكررة و المقاطع واحدة في الكلمتين الأخيرتين «معانية» و «علانية» و وحدة الوزن في نهايتهما. و في الجملة الأخيرة يسمع المخاطب ما سمعه في بداية الفقرة مرّة أخرى و هو فعل «جلّ» و من اللافت للنظر هو أنّ كلّ مفردات هذه الجملة إلا الكلمة الأخيرة منتهية بالفتحة القصيرة أو الطويلة و هي من الصّوائت، و الصّوائت أشدّ وضوحاً من الصّوائت و هذه الفتحة القصيرة و لاسيّما الطويلة (البريسم، ٢٠٠٠: ٢٩٠) أوضح و أعلى الصّوائت لثلاث يشكّ أحد أنّه لا طريق إلى معرفة... و وجدان كيف هو من سرّ و علانية إلا هدايته و دلالته عزّ و جلّ.

٢-٥-٣. دراسة أسلوبية

من جهة الأسلوب ليس في الفقرة الخامسة ما يجدر بالذكر إلا تلك التكرارات: «الأبصار» و «يدرك» في موضعين مختلفين و المترادفات: «لا يدركه و لا يلحقه»، و هذا من التكرار المعنوي؛ كلّها تسبّب التماسك اللّغوي في التّص كما تغيير دور الضمير الغائب في «لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار» يؤدي إلى التماسك، فضمير الغائب في الجملة الأولى المفعول به و في الجملة الثانية مبتدأ.

ثمّ الاستثناء في الجملة الأخيرة يوحي أنّه لا طريق إلى معرفة الله سبحانه و تعالى إلا بما هدى الله، فالمعرفة صنع الله فلا يستطيع الإنسان أن يبلغ إلى أقلّ درجاتها و هي الرّؤية و البصر، و بحاجة إلى دلالة الله عزّ و جلّ على نفسه.

٢-٦. الفقرة السادسة

و أشهد أنّه .. . الَّذِي مَلَأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ وَ الَّذِي يَعْشَى الأَبَدَ نُورُهُ وَ الَّذِي يُنْفِذُ أَمْرَهُ بِلا مُشَاوَرَةٍ مُشِيرٍ وَ لا مَعَهُ شَرِيكٌ فِي تَقْدِيرِهِ وَ لا يُعَاوَنُ فِي تَدْبِيرِهِ.

٢-٦-١. الألفاظ

- ملأ: ملأ الشيء: وضع فيه من الماء و غيره قدر ما يسع و امتلأ الشيء: أفعم و الملاء: قدر ما يأخذ الإناء و نحوه إذا امتلأ (مصطفى و آخرون، ١٤٢٦: مادة ملء).

- يغشى: الغشاء و الغطاء. و غطّه اللّيل: ألبسه ظلمته، غطت الشّجرة: طالت أغصانها و انبسطت على الأرض فانبسطت ما حولها، غطى الشيء: ستره و علاه (نفسه: مادّة غشي).

- نفذ: النفاذ: الجواز في الحكم، رجل نافذ في أمره: ماض في جميع أموره. إنفاذ: الحدّة و المضاء. و التّفوذ هو القطع و السّلوک، نفذ السهم الرّميّة: خالط خوفها ثمّ خرج طرفه من الشّق الآخر (المصدر نفسه، مادّة نفذ).

٢-٦-٢. دراسة صوتية

أول ما يلفت النّظر في الفقرة السادسة هو حضور الشّين في كلّ الجمل إلا الأخيرة، و هي من الأصوات الاحتكاكية التي ينتج باحتكاك الهواء و المحرى الصوتي الضيق (البريسم، ٢٠٠٥ :١٦١)؛ و صفته هذه متبلورة في معنى الفقرة حيث إنّه تعالى لا يحنك بمشاور و لا شريك و لكنّ نوره قد احتكّ بالأبد و غشاه. ثمّ نرى الجملتين الأوليين قد انتهتا بالهاء المضمومة ما قبل المضموم و الضمّة من الصّوائت الّتي لها دورها في الوضوح و الاستعلاء، ثمّ الجملة التّالية تنتهي بصوت «ير» إلا أنّه يضاف إليه في الجملتين التّاليتين الهاء المكسورة فأدّى إلى ليونة لم تكن في الجمل الأولى.

و أمّا المقاطع فأغلبها في هذه الفقرة مفتوحة، لتكون مناسبة للء قدس الله تعالى الدهر و تغشية نوره الأبد.

٢-٦-٣. دراسة أسلوبية

ثمّ في الفقرة التّالية، يعبر النّبي (ص) في قالب الشّهادة عن الصفات الأخرى لله تعالى و يقدّم المفعول به على الفاعل ليبيّن قد أفعم الدهر بقدسه و ستر و غطّى الأبد كلّ بنوره. ثمّ إنّه تبارك و تعالى أمره نافذ ماض في كلّ الأمور، حيث معنى لفظة «نفذ» مبين المقصود. فأمره تعالى مثل نفوذ السهم نافذ حيث يدخل الجوف و يخرج طرفه من شق آخر. و في إنفاذه الأمور لا يستشير أحداً و لا يشاركه أحد، و لا يعاونه و لا يساعده أحد عندما يقدر و يدبر؛ و أمّا التدبير هو تقويم الأمر على ما يكون فيه صلاح عاقبته و التقدير هو تقويم الأمر على مقدار يقع معه الصّلاح. ثمّ استعمل المجهول لعدم تعلّق الغرض بذكر الفاعل بل الغرض هو عدم استعانته من الغير في التدبير، أو أنّ الغير لا يمتلكون القدرة ليعاونوه سبحانه في تدبيره. فالله هو الواحد الذي يدبر و يقدر و ينفذ.

النبيّ (ص) يواصل خطابه هكذا في ارتفاع وخفض في المقاطع الصوتية و تنبّه لما يؤثر من الحروف و الأصوات على المتلقي و يتكلّم عن إنشاء الله سبحانه الخلق و عظمته و قدرته حيث خضع و تواضع و ذلّ كلّ شيء لعزّته و هيئته و قدرته و كلّ هذا بأسلوب غير مملّ و إشارات إلى الآيات القرآنية ليجد المخاطب أنّه لا يسمع إلا ما كان معروفاً لديه في السابق؛ إضافة إلى إجراء التناسب بين بعض المفردات كالتواضع و العظمة و الذلّ و العزّة و الخضوع و الهيبة، حتّى يصل إلى هذه الفقرة:

٢-٧. الفقرة السابعة

لَمْ يَكُنْ لَهُ ضِدٌّ، وَلَا مَعَهُ نَدٌّ. أَحَدٌ صَمَدٌ. لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَ رَبُّ مَا جَدَّ. يَشَاءُ فَيَمْضِي؛ وَيُرِيدُ فَيَقْضِي؛ وَيَعْلَمُ فَيَحْصِي؛ وَيَمِيتُ وَيُحْيِي، وَيُفْقِرُ وَيُغْنِي؛ وَيُضْحِكُ وَيُبْكِي؛ وَيُدْنِي وَيُبْعِدِي، وَيَقْصِي، وَيَمْنَعُ وَيُعْطِي. لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ. وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٢-٧-١. الألفاظ

- التّد: المثل و التّظير (ابن منظور، ١٣٠٠: مادة ند).

- يمضي: مضى الأمر: نفذه و أمضى الأمر: أنفذه (نفسه، مادة مضى).

- يقضي: القضاء: الحكم و قضاء الشيء إحكامه و إمضاؤه، فكلّ ما أحكم عمله أو أتمّ أو ختم أو أدى أداءً أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى (نفسه، مادة قضى).

٢-٧-٢. دراسة صوتية

في القسم الأوّل من الفقرة التاسعة تكرر حرف الدّال، له أثر بارز في موسيقى النّص؛ فالدّال من الحروف الانفجاريّة المجهورة (البريسم، ٢٠٠٥: ١٤٣) حيث يؤدّي إلى الوضوح السّمعي في العبارات ممّا يستلزم إفهام معنى الوجدانية لـ... تعالى كأهمّ عقيدة المسلمين و أوّل ما يدعو إليه النبيّ (ص)، فالعقيدة بهذه الدرجة من الأهمية يجب أن تبيّن واضحاً حيث يسمعها المخاطب و يفهمها بوضوح. و تركيب هذا الحرف بحروف أخرى فيها ليونة مثل الياء و اللام، أو الحروف المجهورة مثل الحاء، يخرج من شدة الحروف المجهورة و يلائم بين الشدّة و اللبونة فيضاعف جماليّة موسيقى النّص.

ثمّ في القسم الثّاني من الفقرة نرى وحدة الوزن بين فواصل النّص؛ فكلّ العبارات منتهية بصوت الكسرة الطويلة، و غير العبارتين الأولىين، كلّها استعمل على وزن يُفعل. ثمّ طول المقاطع

في كثير من هذه العبارات واحد و لا يختلف بعضها من البعض. فكلّ هذا يرسم خارطة صوتيّة جميلة تشنّف الآذان عند ما يسمعها سامع.

٢-٧-٣. دراسة أسلوبية

تكرار «لم» في بداية الفقرة «لم يكن له ضدّ. . . لم يلد و لم يولد و لم يكن. . .» ثمّ تكرار المعنى الواحد في الجملتين التاليتين: «لم يكن له كفوّاً أحد» و «إله واحد» فكلتا الجملتين تدلان على الوجدانيّة لله تبارك و تعاليّ ممّا يجعل النصّ منسجماً انسجماً لغويّاً. ثمّ فاء الرّبط في «فيمضي، فيقضي» يوجب التماسك النحوي. ثمّ التّضادّ الذي جعلها في سائر المفردات: «ضدّ و ندّ»، «يميت و يحيي»، «يفقر و يغني»، «يضحك و يبكي»، «يدي و يقصي»، «يمنع و يعطي» يؤدّي إلى التماسك المعنوي. إضافة إلى الصلة المعنويّة و العلاقة العليّة بين بعض الأفعال مثل «المشيّة و الإمضاء» و «الإرادة و القضاء» و «العلم و الإحصاء»^١. و أمّا من جهة المعنى، فالإرادة لما يتراخى وقته و ما لا يتراخى، و المشية لما يتراخى وقته و القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام (العسكري، د. ت: ١٢٤ و ١٩٠). فالله سبحانه بعد مشيّه يمضيها و بعد إرادته يقضيها؛ و يمكن تغيير القضاء فلا يتراخى الوقت فاستعمل الإرادة، و أمّا ما أمضاه سبحانه فلا يمكن تغييره فاستعمل المشية لما يتراخى وقته.

و عند البحث عن التّناص في النصّ، فالعبارة الأخيرة تدلّنا إلى الآية القرآنيّة: ﴿قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تترع الملك ممّن تشاء و تعزّ من تشاء و تدلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير﴾ (آل عمران/ ٢٦).

فالتّي (ص) من بداية الخطبة كان يتكلّم عن الخالق البارئ القادر القاهر الغالب المحيط العليم الخبير القويّ العظيم العزيز المتفضّل المتطوّل المنعم الرّحيم، و عرف . . . سبحانه و تعاليّ خلال العبارات الجميلة بهذه الصّفات ثمّ شهد له بالعظمة و العزّة و القوّة فهنا بعد كلّ هذا يرجع إلى الموضوع الأوّل المطروح في الخطبة و هو الوجدانيّة، فيطرح أنّه سبحانه و تعاليّ لا نظير له و لا ضدّ له؛ أحد صمد؛ لا يلدّه أحد و لا يلد هو أحداً؛ و لا كفو له كي يعرف بنظيره أو ضده أو كفوّه أو والده أو ولده. فهو الله سبحانه و تعاليّ إله واحد لا كالألّهة الكثيرة المعهودة عند العرب. فهو إله واحد يرّبي العباد بكرمه و حسن صنيعه فهو ربّ ماجد. فإنّه هو الإله الواحد الذي له القدرة على المشيّة و الإمضاء و الإرادة و القضاء و العلم و الإحصاء و الإمامة و الإحياء و الفقر و الغنى و الضحك و البكاء و القرب و البعد و المنع و العطاء. فهو ملك الأملاك و له الملك و له

الحمد على كلّ ما ذكر. كلّ الخير عنده تبارك و تعالى و بيده سبحانه يجري على العباد. فيستنتج من كلّ ما تقدّم أنّه سبحانه الواحد الذي على كلّ شيء قدير.

٢-٨. الفقرة الثامنة

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ. مُسْتَجِيبُ الدُّعَاءِ، وَمُجْزِلُ الْعَطَاءِ، مُحْصِي الْأَنْفَاسِ، وَرَبُّ الْأَجْنَةِ وَالنَّاسِ. الَّذِي لَا يُشْكَلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَ لَا يَصْجُرُهُ صُرَاخُ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلَا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلْحِينَ، الْعَاصِمُ لِلصَّالِحِينَ، وَالْمُوفِّقُ لِلْمُفْلِحِينَ، وَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمَدَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

٢-٨-١. الألفاظ

- يولج: الولوج: الدّخول، أولوجه: أدخله، يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل: يزيد من هذا في ذلك و من ذلك في هذا (ابن منظور، ١٣٠٠: مادة ولج).
- مجزل العطاء: أجزل له العطاء: أي أكثرت و أعظمت و الجزل الحطب ثمّ كثر استعماله حتّى صار كلّ ما كثر جزلاً (نفسه: مادة جزل).
- ضجر: الضّجر: القلق من الغمّ (نفسه: مادة ضجر).
- يبرمه: أبرمه فلان: أي أمله و أضجره (نفسه: مادة برم).
- إلحاح: إلح في الشيء: كثر سؤاله و إلح على الشيء: أقبل عليه و لا عنه (نفسه).
- العاصم: العصمة في كلام العرب: المنع و الحفظ، و عصمه: منعه و وقاه (نفسه: مادة عصم).
- الموفّق: وفقه الله سبحانه تعالى: ألهمه و هو من التّوفيق (نفسه: مادة وفق).

٢-٨-٢. دراسة صوتية

كثرة حروف الياء و اللام و الواو في الفقرة العاشرة لافلت للنظر فكلّ هذه الحروف فيها ليونة و ليست فيها تلك الشدّة و الانفجار و الجهورة التي عهدتها السّامع في الفقرة السّابقة. فطبيعي أن يتغيّر الموسيقى الداخلية للنص لأنّ هذه الفقرة كجسر إلى خاتمة الموضوع فيجب أن يهبط من ذاك الارتفاع الشّديد الموجود كي يدرك السّامع أنّه يقترب من التّتيحة النهائيّة و خاتمة الموضوع.

و الكلمات المتجانسة مثل «الدعاء» و «العطاء»، و كلّ الصفات المنتهية بـ «ين» مثل «الصالحين» و «المفلحين» و «العالمين» و.. . تترك أثرها في جمالية ما يسمعه السامع؛ ثمّ صوت

الياء الممدود في نهاية هذه الصفات، له دوره في طول المقاطع و ما يؤدّي إلى إعجاب السامع؛ حيث إنّه يسمع صفات ربّه العليّ و يتلذذ من بياها في شيء من المدّ و الطول.

تّمّ له دور في موسيقى النصّ هو تكرار عبارة «يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل» معكوساً؛ ثمّ التّوازن في الفواصل و مقاطع النصّ، يضيفي إلى الجماليّة الموجودة في جميع الفقرات.

٢-٨-٣. دراسة أسلوبية

الفقرة العاشرة تبدأ باقتباس الآية القرآنيّة؛ إذ الجملة الأولى قد جاء في أربع آيات من القرآن الكريم: (لقمان/٢٩ و الفاطر/١٣ و الحديد/٩ و الحج/٦١) فتبدأ الفقرة بجملة فعلية و فعلها مضارع لتجدّد استمرار ولوج الليل و النهار.

ثمّ كأنّ النبيّ (ص) يريد أن يحكم حبل العلاقة بين العباد و ربّهم لئلا يظنّوا بأنّ ربّهم و إلههم بتلك الصّفات و بهذه القدرة و المنعة و الهيبة و الجلال، يكون بعيد المنال؛ ففي البداية يصف غفران الله تعالى لعباده بصيغة التفضيل ليوحى الرجاء في قلوب الأمتة للإجابة؛ ثمّ يعدّ النبيّ صفاته سبحانه التي يحسّ المخاطب بأنّه يستطيع أن يسأل و يدعو ربّه و يلحّ عليه و يستصرخه فكلّ هذه العبارات، تظهر في جمل اسميّة دالة على الثبوت؛ إضافة إلى أنّ كلّ الأوصاف أسماء الفاعل الدالة على الاستمرار: «مستجيب الدعاء»، «مجزل العطاء»، «محصى الأنفاس»، «العاصم للصّالحين»، «الموقّ للمفلحين»، «مولي المؤمنين».

و الجمل الفعلية فعلها مضارع مرتبطة بموصول «الذي»، و بما أنّ الضمير العائد في كل صفة يجعل الموصول و الصلة مرتبطتين، يساعد على التماسك التحويلي في النصّ: «الذي لا يشكّل عليه شيء و لا يضرّجه صراخ المستصرخين و لا يبرمه إلحاح الملّحين».

٢-٩. الفقرة التاسعة

أَحْمَدُهُ كَثِيرًا، وَأَشْكُرُهُ دَائِمًا؛ عَلَيَّ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ. وَأُوْمِنُ بِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. أَسْمَعُ لِأَمْرِهِ، وَأَطِيعُ، وَأَبَادِرُ إِلَى كُلِّ مَا يَرْضَاهُ، وَاسْتَسْلِمُ لِمَا قَضَاهُ، رَغْبَةً فِي طَاعَتِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عُقُوبَتِهِ، لِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ مَكْرَهُ وَلَا يُخَافُ جَوْرَهُ.

٢-٩-١. دراسة أسلوبية

و أخيراً يستنتج النبيّ (ص) أنّه سبحانه و تعالى بكل ما بيّن من صفاته، مستحقّ الشكر و جديره و بالحمد على كلّ حال من قبل المخلوقين؛ إذ... تعالى المنّة عليهم لخلقهم و إنشائهم و ابتداعهم و تصويرهم و إنعامهم و الفضل عليهم و العدل لهم و استجابة دعوتهم.

ثمَّ ييوج بموقفه (ص) من ... تعالى وهو الإيمان به عزّ وجلّ وكتبه ورسله وملائكته، والإطاعة له والاستسلام لقضائه رغبة في طاعته والخوف من عقوبته. ثمَّ يأتي بوصف الله تعالى وهو «لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره» فاختيار هذا الوصف لختام المقدّمة، ملائم لسياق الفقرة؛ إذ الموضوع في حمد الله سبحانه، ثمَّ الطاعة والتسليم له رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته؛ فهنا يبين النبي (ص) سبب الخوف وهو «لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره» واختار المكر والجور لبيان أنواع من العقوبة، ففي الواقع الجملة الأخيرة هي الخاصّ بعد العامّ. إضافة إلى أنّ هذا الختام لمقدّمة هذه الخطبة، فيه إيحاء لكلّ من يريد أن لا يطيع الله في أمره الذي يريد النبي (ص) إبلاغه الناس.

فهكذا تنتهي هذه المقدّمة الوصفية التوحيدية للخطبة التي بدأت ببيان الحمد لله المتوحّد المتفرد المحيط علمه بكلّ شيء والكريم الحليم المتفضل المتطول على جميع من خلق. وقد ذكرت فيها صفات تتعلّق بالخلقة بلا احتذاء أمثلة امثلها، ولا مشاورة مشير ولا معاونة معين؛ ثمَّ العلم بالمكونات والمضمرات والسرائر والقدرة والقوّة والغلبة على كلّ شيء. والأهمّ من كلّ هذا وحدانيته سبحانه وتتره عن الخلق، وأنّه تعالى عزيز غفار، لا يبرمه إلحاح الملحّين ولا يضجره صراخ المستصرخين وهو مستحقّ الحمد والشكر في جميع الأحوال، ورغم كلّ هذا لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره.

فيبدو أنّ كلّ الصفات المشار إليها، لها علاقة بالخطبة وما يريد النبيّ (ص) إبلاغه الأُمَّة واختيارها أحسن اختيار لا يمكن استبدال صفة بسائر صفات ... عزّ وجلّ حسب سياق الخطبة. فأمره أمر هامّ، يبيّن طريق السعادة والشقاوة حتّى القيامة ومن جهة أخرى أمر صعب، يمكن أن لا يخضع له كثير من أبناء المجتمع، فبحاجة إلى تمهيد طويل ليذكّرهم خالقهم ومُنعمهم مع صفاته التوحيدية كأوّل عقيدة توحيدية، ثمَّ الخلقة والإنشاء ليذكّروا أنّهم لم يكونوا شيئاً وخلقهم ... تعالى بقدرته، فبيده سبحانه تدبيرهم وتقديرهم وإمضاء أمورهم وقضاءها، فإن قضى بإمارة أمير المؤمنين فلولايته سبحانه عليهم وقدرته على التدبير وعلمه بمآل الأمور وحوادث الدهور. ثمَّ قدرته وقوّته ليبين وإن لا يطيعوا أمره لا يضرّه شيء، بل الضرّ لأنفسهم لأنّه لا تؤمن عقوبته. ثمَّ علمه بالمكونات والخفيات ومضمرات القلوب ليعلموا أنّهم وإن يخفوا شيئاً في صدورهم فلن يخفى عليه عزّ وجلّ الخفيات، فيثيب أو يعاقب حسب ما في القلوب من الحبّ والبغض لوليّ الله تعالى. ثمَّ غفرانه ورحمته وكرمه ومَنه وفضله وطوله على المخلوقين وأنّه تعالى لا يملّه سؤال المخلوقين ولا يضجره صريخ المستصرخين، فالباب مفتوح لكلّ من يريد ... سبحانه وغفرانه أو

الإنازة إليه. و أخيراً يوضح النبيّ (ص) عقيدته الحقّ في الله تعالى و يعدّه مستحقّاً للحمد و الشكر في كلّ الأحوال بسبب نعمه و لا سيّما هذه النعمة الأخيرة التي يريد أن يبيّنها للنّاس؛ فيحمده في نهاية تمهيده كما بدأ بالحمد ليدخل في صلب الموضوع و إعلان الولاية.

النتيجة

١. يستنتج ممّا سبق أنّ خطبة الغدير قد أُلقيت في ظروف يتهيأ لها التأثير البالغ في السّامعين، فالظروف الاجتماعية والتّفسانية كانت تتطلّب إلقاء خطبة مثل هذه في ذاك المكان و الزّمان و إن كانت غير هذه الظروف، لم تترك الخطبة أثرها في نفوس السّامعين. ففي ذاك التّسيح الاجتماعي قد تشكّل خطاب منتظمة أجزاءه، مرتبطة بعضها ببعض، في غاية الانسجام.
٢. فالنبيّ (ص) في استراتيجية خطابه، يستعمل آليات إقناعية مختلفة من استعمال ألفاظ مناسبة و الموسيقى الملائم للنص و الأساليب المنسجمة مع النص لبلوغ غايته و هي إقناع المخاطبين و التأثير في نفوسهم.
٣. فمن جهة اللّغة و الألفاظ و حسن انتقائها، فالألفاظ في غاية المطابقة للمعاني و اختيارها لم يكن دون تروّ و تأمّل.
٤. ثمّ من جهة الموسيقى، فتبيّن أنّ الخطبة موزونة في كليتها لكنّها تتغيّر قليلاً بتغير المعاني، و ما في موسيقى النصّ من الشدّة و اللبونة و الارتفاع و الانخفاض، لا يسبّب تعب السّامع بل له أثر في استرعاء انتباه السّامعين لإصغائهم للخطبة و يساعد على انتقال المعنى. و الثّبرات الدلاليّة التي تبيّن موضع التّأكيد إضافة يؤدي إلى فهم النصّ أكثر و هذا يدلّ القارئ على مدى أهميّة الموضوع. ثمّ ما للحروف مع صفاتها الخاصة لها، من الدلالات المعنوية التي تهدي المخاطب ليلعب المعنى المنشود.
٥. و أمّا من ناحية الأسلوب و المضمون، فالأساليب المستعملة كلّها متناسبة للمعاني المقصودة و يبدو أنّ مقام الخطاب و حال المخاطب و في الواقع السياق، له أثر بالغ في اختيار أساليب تبيين المعاني التي يقصدها الخطيب. فالمرسل بذل قصارى جهده لينتقل خطابه إلى المرسل إليه، فظهرت خطبة الغدير في قمّة النثر الفنّي بكلّ مؤهلاتها الأدبية و ميزات الفنية.

الهوامش

١. النصّ الكامل للخطبة قد روي في تسعة كتب شيعية بالأسناد المتصلة في روضة الواعظين لابن قتال النيشابوري(د. ت، ١/١٨٩) و الاحتجاج للشيخ الطبرسي(د. ت، ١/٦٦). و اليقين للسيد بن طاووس (١٤١٣، ٣٤٣). و نزهة الكرام للشيخ محمّد بن الحسين الرّازي (١٣٦١، ج١/١٨٦). و الإقبال للسيد بن طاووس (١٤١٨، ٤٥٤). و العدد

القوية للشيخ علي بن يوسف الحلبي (١٦٩، ١٤٠٨) و التحصين للسيد بن طاووس (١٤٠٦، ٥٧٨) و الصراط المستقيم للشيخ علي بن يونس البياضي (د. ت، ١/٣٠١) و فتح الإيمان للشيخ علي بن حسين بن جبر (د. ت، ٩٢). و العلماء المتأخرون قد نقلوا الخطبة من هذه المصادر نحو العلامة المجلسي في بحار الأنوار (٢٠١/٣٧) و الشيخ الحرّ العاملي في إثبات الهداة (١٠٤/٢) ثم السيد البحراني في كشف الهمم (١٩٠) و علم الهدى خراساني في فتح الخطابة (١٣٧٤: ١٥٣-١٠٤).

٢. هناك أحاديث كثيرة في تبين مفهوم هذه المصطلحات مما لا يستوعبها هذا الوجيز؛ فراجع الصدوق، د. ت: ٣٣٢. و الكليني، ١٣٦٥، ج: ١، ١٤٦. و المجلسي، ج: ٤، ٩٢ و ١٠٢/٥-١٣٣.

المصادر

الف. الكتب

- القرآن الكريم
- ١. ابن طاووس، علي بن موسى (١٤١٨)؛ *إقبال الأعمال*، قم، مكتبة العالم الاسلامي.
- ٢. _____ (١٤١٣)؛ *اليقين في امرأة امير المؤمنين علي بن أبي طالب* (تحقيق: محمد باقر انصاري)، قم، مؤسسة دار الكتاب الجزائري.
- ٣. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٣٠٠)؛ *لسان العرب*، مصر، المطبعة المصرية.
- ٤. ابن هشام الحميري، عبد الملك (بي تا)؛ *سيرة ابن هشام*، بيروت، دار المعرفة.
- ٥. أنصاري، محمد باقر (١٣٨٦)؛ *سخنراني استثنائي غدير*، قم، دليل ما.
- ٦. _____ (١٣٨٨)؛ *اسرار غدير*، قم، نشر فذك.
- ٧. البريسم، قاسم (٢٠٠٠)؛ *منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري*، بيروت، دار الكنوز الأدبية.
- ٨. _____ (٢٠٠٥)؛ *علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة*، بيروت، دار الكنوز الأدبية.
- ٩. البلاذري (١٩٤٧)؛ *أنساب الأشراف*، تحقيق: شيخ محمد باقر المهدي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ١٠. بهرامپور، شعبانعلي (١٣٧٩)؛ *درآمدی بر تحلیل گفتمان، گفتمان و تحلیل گفتمانی*، چاپ اول، د. م، منشورات فرهنگ گفتمان.
- ١١. الهنساوي، حسام (٢٠٠٥)؛ *الدراسات الصوتية عند علماء العرب و الدرس الصوتي الحديث*، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- ١٢. حرّ عاملي، محمد بن حسين (١٣٨٥)؛ *إثبات الهداة*، تهران، دار الكتب الإسلامية.
- ١٣. الحلّي، جمال الدين أحمد بن محمد (١٤٠٦)؛ *التحصين في صفات العارفين*، قم، مدرسة الإمام الهادي.
- ١٤. _____ (١٤٠٨)؛ *العدد القوية*، قم، مكتبة آية الله المرعشي.
- ١٥. الحموي، ياقوت (١٣٨٠)؛ *معجم البلدان*، تهران، سازمان ميراث فرهنگي.
- ١٦. حنفي، حسن (١٩٩٨م)؛ *تحليل الخطاب، المؤتمر العلمي الثالث، تحليل الخطاب العربي* (بحوث مختاره) الطبعة الأولى، عمان، جامعه فيلادلفيا.
- ١٧. خراساني، علم الهدى (١٣٧٤)؛ *نمج الخطابة*، تهران، كتابخانه صدر.
- ١٨. رازي، محمد بن حسين (١٣٦١)؛ *نزهة الكرام و بستان العوام*، د. م، د. ن.
- ١٩. الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد (د. ت)؛ *معجم مفردات ألفاظ القرآن*، تحقيق: ندم المرعشي، قم، المكتبة الرضوية.
- ٢٠. شرشار، عبد القادر (٢٠٠٦)؛ *تحليل الخطاب و قضايا النص*، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- ٢١. الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤)؛ *استراتيجيات الخطاب*، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب الجديد التّحدّية.
- ٢٢. الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه (١٩٦٩)؛ *علل الشرائع*، نجف، المكتبة الحيدرية.
- ٢٣. _____ (د. ت)؛ *التوحيد*، الطبعة الثانية، قم، جامعه مدرسين حوزة علميه قم.
- ٢٤. صفوت، أحمد زكي (د. ت)؛ *جمهرة خطب العرب*، بيروت، المكتبة العلمية.

٢٥. الطبرسي، أحمد بن علي (١٩٨٩)؛ *الاحتجاج*، بيروت، الأعلمي للمطبوعات.
٢٦. العاملي النباطي، أبي محمد علي بن يونس (١٣٨٤)؛ *الصراف المستقيم*، د. م، المكتبة المرتضوية لآحياء الآثار الجعفرية.
٢٧. العسكري، ابو هلال (د. ت)؛ *الفروق اللغوية*، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، د. م، دار العلم و الثقافة.
٢٨. الكليني، م حمد بن يعقوب (٣٦٥ش)؛ *أصول الكافي*، طهران، دار الكتب الإسلامية.
٢٩. المجلسي، محمّدياقر (د. ت)؛ *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*، طهران، مؤسسة الإسلامية.
٣٠. مصطفى، إبراهيم و آخرون (١٤٢٦)؛ *المعجم الوسيط*، الطبعة الخامسة، طهران، مؤسسة الصادق للطباعة و النشر.
٣١. النيشابوري، محمد بن فتال (د. ت)؛ *روضة الواعظين*، قم، منشورات الرضي.
- ب. الجلات
٣٢. ميرزايي، فرامرز و ناهيد نصيحت (١٣٨٤) *روش گفتمان كاوي شعر*، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها، شماره ٤، صص ٤٥
٣٣. روشن فكر، كبرى و دانش محمدى (١٣٨٨)؛ *تحليل گفتمان ادبي خطبه هاي حضرت زينب (س)*، مجلة سفينه، شماره ٢٢، صص ١٢٧-١٤٩
٣٤. روشن فكر، كبرى و فاطمه أكبر زاده (١٣٩٠)؛ *تحليل گفتمان انتقادي خطبه فدك حضرت زهرا، منهاج*. الرقم السابع، صص.

فصلنامه نقد و ادبیات تطبیقی (پژوهش‌های زبان و ادبیات عرب)
دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه رازی - کرمانشاه
سال اول، شماره ۴، زمستان ۱۳۹۰ هـ.ش / ۱۴۳۳ هـ.ق / ۲۰۱۲ م

تحلیل خطبه غدیر به شیوه تحلیل خطابه ادبی*

دکتر آفرین زارع

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز

طاهره طوبائی

کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز

چکیده

خطابه از دیرباز از مهمترین وسایل ارتباط میان افراد جامعه بوده تا آنجا که یکی از فنون گفتاری به شمار آمده که می‌کوشد در مخاطبان اثر گذارد، آنها را [نسبت به موضوع مورد نظر] قانع سازد و به فهم آنچه مقصود خطیب است، تحریک نماید. بنابراین، نقش زیبایی‌های ادبی در موفقیت خطیب و ایجاد تأثیر شگرف در شنوندگان و متقاعد نمودن ایشان، غیر قابل انکار است. در خطبه غدیر که به واسطه فصیح‌ترین سخنگو به زبان عربی (پیامبر اکرم - ص) ایراد شده و آخرین خطابه و بلندترین (طولانی‌ترین) خطابه آن حضرت هم است، زیبایی‌ها و ویژگی‌های ادبی خاصی انتظار می‌رود؛ و چون این خطبه علی‌رغم داشتن شایستگی‌های قابل توجه که آن را در زمره نثر فنی والای ادبی جای می‌دهد، در ادبیات عربی، گمنام مانده و مورد بررسی شایسته قرار نگرفته، این مقاله در پی آنست که پس از معرفی مختصر خطبه، آن را با استفاده از روش تحلیل گفتمان ادبی، تحلیل کند؛ دستاورد این پژوهش آنست که پیامبر اسلام (ص) جهت رسیدن به هدف مورد نظر که همان جذب مخاطب؛ تأثیر گذاری در او و متقاعد نمودن وی درباره موضوع خطابه است، ابزار مختلفی بکار می‌برد؛ بنابراین به الفاظ، آوا، سبک و محتوا اهتمام می‌ورزد؛ همین امر باعث شده خطبه غدیر با تمام شایستگی‌های ادبی موجود در آن و ویژگی‌های زیبای هنری (فنی) در بلندترین جایگاه نثر فنی جای گیرد. واژگان کلیدی: خطبه غدیر، تحلیل گفتمان، گفتمان ادبی، فرستنده (گوینده)، دریافت کننده (مخاطب).

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۰ / ۷۸ / ۲۰

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۰ / ۱۱ / ۲۵

afarin.zare@yahoo.com

AZare@rose.shirazu.ac.ir: نویسنده مسئول